العلاقات الإيرانية الروسية في ضوء نظرية تحول القوة

Power Transition Theory in the case of Iranian - Russian Relations

الباحث

هبة الله محسن أبو الوفا البداية

إشراف

د. أشرف محمود سنجر

د. وئام السيد عثمان

الملخص

إن العلاقات بين روسيا وإيران لم تكن شأنًا ثنائيًا يخص الجانبين فحسب ،بل جعلتها أبعادها وآثارها الجيوستراتيجية تلقي بتداعيات على كافة الدول المجاورة ،فالعلاقات الممتدة تاريخيًا بين إيران وروسيا تعد نموذجًا في إدارة العلاقات الدولية ،تلك العلاقات المحكومة بعوامل متعددة ومتناقضة تحكمها الايديولوجيا والمصلحة والجغرافيا السياسية والتاريخ[1] ،وقد خلصت الدراسة وفقًا لنظرية تحول القوة إلى أن الفارق الكبير في القوة الشاملة جعل العلاقة بين روسيا وإيران تتأرجح بين الصعود والهبوط بفعل محددات وعوامل حالت دون تحويل التقارب إلى شراكة استراتيجية ،ومنعت تأزم العلاقات ووصولها إلى صراع، وبقي التعاون هو السمة الغالبة على العلاقات بينهما.

الكلمات المفتاحية : روسيا ،إيران ،تحول القوة ،الملف النووي الإيراني ،آسيا الوسطى ،بحر قزوين ،سوريا.

Abstract

The post-Cold War era has resulted in a major shifts in balance of power in the global politics and has led to serious competition between regional powers Russia and Iran are playing an important role in shaping the new world order, along with other powers that claim to have a stake in shaping international policy, This study will use Power Transition Theory to analyze the relations between Russia and Iran.

The results of this study indicate that there was and is a gap differences in power between Iran and Russia, where Russia power is above Iran power, However, Russia and Iran are satisfied with their relations,and statistical models show that the economic exchange between Russia and Iran is getting bigger, According to Power Transition Theory, the probability of conflict between Russia-Iran will not escalate .The current cooperation between Iran and Russia confirms that both the Russia and Iran are heading to create a solid foundation for bilateral cooperation.

[1]– د. محمد السعيد إدريس ،"تحالف الضرورة بين إيران وروسيا جدل التفاعل بين الفرص والتحديات" ،مجلة الدراسات الإيرانية ،مركز الخليج للدراسات الإيرانية ،السنة الأولى ،العدد الثالث ،يونيو 2017 ،ص:36.

Kay Words: Russia, Iran, Power Transition, Iran's Nuclear Program, Central Asia, Caspian Sea, Syria.

المقدمة :

تتبع أهمية العلاقات الإيرانية الروسية من أهمية الموقع الإيراني في السياستين الاقليمية والدولية لاسيما بالنسبة لروسيا ،فلإيران دور لا يمكن التقليل من شأنه في منطقة أوراسيا ،إذ تطل إيران على منطقة القوقاز من جهة وعلى منطقة الخليج العربي من جهة أخرى ،وعلى آسيا الوسطى السوفيتية سابقاً من جهة ثالثة[1]. هذا بالإضافة إلى أجواء الصراع على النظام الدولي ،وكذلك أجواء البيئة الاقليمية في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى التي لعبت أدوارًا مميزة في سير هذه العلاقات ،بين ما هو فرص مواتية للشراكة وما هو تحديات دفعت للتنافس والصراع ،هكذا هي كانت العلاقات بين الامبراطورية الإيرانية الشاهنشاهية والاتحاد السوفيتي ،قبل سقوط الإمبراطورية الإيرانية في العام 1979 ،وهكذا كانت تسير أيضًا بين الجهورية الإسلامية الإيرانية والاتحاد السوفيتي قبل سقوطه في العام 1991 ،وكذلك ظلت العلاقات بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وجهورية روسيا الاتحادية بعد العام 1991 إلى الآن[2].

اشكالية الدراسة : تتناول الدراسة العلاقات الإيرانية الروسية في إطار نظرية تحول القوة ،فبتفكك الاتحاد السوفيتي وجدت روسيا نفسها في عزلة عن العالم الخارجي حيث واجهت العديد من المصاعب الداخلية والخارجية، فضلاً عن الظروف الدولية والإقليمية المتوترة اقتصاديًا وسياسيًا وأمنيًا ،وبالرغم ذلك سعت القيادة الروسية لاسيما في عهد الرئيس الحالي فلاديمير بوتين إلى استرجاع نفوذها على الصعيدين الدولي والإقليمي خاصة في مجالها الحيوي ،بما في ذلك العلاقات مع إيران ،في حين سعت إيران إلى فرض نفسها على الساحة الاقليمية والدولية بقوة وذلك بما تمتلكه من قدرات فضلًا عن سعيها لتعزيز قوتها لاسيما عبر امتلاكها التكنولوجيا النووية.

فرضية الدراسة : تنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها : أن العلاقات الروسية الإيرانية تزداد توترًا مع اقتراب أو تساوي القوة الشاملة بين البلدين ،كما تحاول الدراسة الإجابة على تساؤل رئيسي

---

[1]– د. سليم كاطع علي ،"العلاقات الروسية – الإيرانية :الواقع والمستقبل" ،مجلة اتجاهات سياسية ،المركز الديمقراطي العربي ،العدد الثاني ،يناير 2018 ،ص:102.

[2]– د. محمد السعيد إدريس ،"تحالف الضرورة بين إيران وروسيا جدل التفاعل بين الفرص والتحديات" ،مرجع سابق ،ص:36.

وهو ما هي القضايا المؤثرة في مسار العلاقات الإيرانية _ الروسية؟ ،وقد اعتمدت الدراسة على مقاربات تحليلية إمبريقية وتوظيفها في تحليل العلاقات الإيرانية الروسية ،واستشراف مستقبل هذه العلاقات وإلى أين ستتجه ،هل إلى تعاون وتحالف أم إلى تنافس وصراع ،وقد اعتمدت الدراسة على الربط بين متغيرين ،واظهار علاقة التأثير والتأثر بينهما وهما نمو القوة الشاملة من جانب وتزايد التوتر بين البلدين من جانب آخر ،والمتغير الآخر حجم التبادل التجاري بين البلدين ودوره في تحسين العلاقات بينهما.

حدود الدراسة :

1- الحد الموضوعي : تتناول الدراسة العلاقات الإيرانية الروسية بأسلوب الإحصاء الوصفي ،وذلك عبر التركيز على التغير في عناصر القوة الشاملة بين كلًا من روسيا وإيران ،وحجم التبادل التجاري بينهما ،وتأثير ذلك على العلاقات الثنائية بينهما سواء أسفر ذلك عن تعاون أو عن تنافس وصراع.
2- الحد المكاني : يشمل النطاق المكاني للدراسة الجمهورية الإيرانية الإسلامية بالإضافة إلى جغرافيا دولة روسيا الاتحادية ،كما تتداخل علاقات هاتان الدولتان مع مناطق إقليمية أخرى كمنطقتي آسيا الوسطى والشرق الأوسط.
3- الحد الزماني : تتناول الدراسة العلاقات الإيرانية الروسية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي وقيام دولة روسيا الاتحادية في ديسمبر من العام 1991 إلى العام 2018 ،ووفقًا للبيانات المتاحة سيكون التحليل الاحصائي من العام 1991 إلى العام 2014.

وفي إطار ذلك سوف تتناول هذه الورقة البحثية العلاقات الإيرانية الروسية ونقاط التعارض والالتقاء بينهما ومستقبل هذه العلاقات ،من خلال النقاط التالية :

- الاطار النظري (نظرية تحول القوة).
- مراحل تطور العلاقات الإيرانية الروسية (2018:1991).
- مؤشرات تحول القوة الإيرانية الروسية.
- التحليل الامبريقي للعلاقة بين إيران وروسيا (2014:1991).
- تحليل نمط العلاقات الإيرانية الروسية.

- نتائج الدراسة ومستقبل العلاقات الإيرانية الروسية.

الاطار النظري للدراسة :

صنف بعض منظري العلاقات الدولية نظرية تحول القوة على أنها جزء من النظرية الواقعية بسبب التركيز على علاقات القوة ،في حين اعتبرها البعض الأخر نظرية عقلانية Rationalist بمعنى أنها هيكلية Structural ،وإن كانت ديناميكية Dynamic ،في الوقت ذاته ،لأنها تقرر بأن المصالح السياسية تقع في قلب أي نزاع ،وهكذا فإن النظرية توائم بين العالمين الإمبريقي أو التجريبي والسياسي[1]. ووفقًا لأورجانسكي في كتابه "السياسات العالمية" 1969 فإن مصطلح تحول القوة يستند في جوهره إلى نقطتين محوريتين : الأولى : تدور حول وجود نمو مؤثر للقوة الشاملة لدولة (بمفهومها الإقليمي والبشري) ،والثانية تتعلق بتأثير هذه القوة النامية في النظام العالمي[2].

- **مفهوم نظرية تحول القوة :**

ترى النظرية أن أساس الهرمية الدولية هو ارتكازها على عناصر القوة وكيفية توزيعها بين الوحدات الدولية ،وانعكاس ذلك التوزيع على سلوك الوحدات الدولية ،والقوة بتعريف مبسط هي مجموع العوامل القابلة للاستخدام التي تكون بحوزة الدولة ،داخليًا وخارجيًا ،المادية منها وغير المادية[3] ،وتجمع نظرية تحول القوة بين نمو قوة الدولة وسعيها لتوسيع مصالحها في الخارج بما يشكل تحد للنظام الدولي القائم ،فحسب الرؤية التي قدمها أورجانيسكى والتي قسم من خلالها الدول وفقًا لدرجة القوة ودرجة الرضا إلى الدول القوية والراضية ،والدول القوية وغير الراضية ،والدول الضعيفة والراضية ،والدول الضعيفة وغير الراضية[4] ،ووفقًا لهذه النظرية ،فإن الفئة الثانية التي تتمثل في الدول القوية وغير الراضية هي التي تتسبب في حالات عدم الاستقرار ،لأن الفئة الأولى (الدول القوية والراضية)

---

[1]– رونالد تامن ،دوجلاس ليمك ،أ.أورجانسكي وآخرون ،ترجمة د. محمد محمود مصطفى ،د. أشرف محمود سنجر ،"نظرية تحول القوة : رؤية جديدة للعالم في القون الحادي والعشرين" ،شركة دار العلم للنشر والتوزيع ،الكويت ،2007 ،ص:ص:24:23.

[2]– توفيق حكيمي ،"مستقبل التوازن الدولي في ظل الصعود الصيني" ،رسالة دكتوراه في العلوم السياسية ،كلية الحقوق والعلوم السياسية ،قسم كلية العلوم السياسية ،جامعة باتنه ،الجزائر ،2014 ،ص:ص:29:28.

[3]– خضر عباس عطوان ،"تحولات القوة واتجاهات الصراع في النظام الدولي" ،مجلة المستقبل العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،مجلد 41 ،العدد 472 ،يونيو 2018 ،ص:130.

[4]- Ronald L. Tammen, Jacek Kugler, Douglas Lemke," Power Transition Theory ", Trans Research Consortium, December 2011,P:P:4:7.

ليست لها مصلحة في تغيير هيكل النظام الذي يخضع لهيمنتها بالأساس ،وترى الدول القوية غير الراضية أنها تمتلك من القوة ما يؤهلها إلى ممارسة دور على الساحة الدولية أكثر أهمية من المكانة المتاحة لها ،وفقًا للقواعد التي يفرضها هيكل القوة الموجود ،ومن هذه الفئة يظهر المنافسون الذين يسعون إلى تغيير الوضع القائم وتأسيس نظام أخر ،في حين أن الفئة الثالثة ،برغم أنها غير راضية ،فإنها تفتقد القدرة على التغيير ،بينما الفئة الرابعة ضعيفة وراضية بالوضع القائم[1].

- **مؤشرات تحول القوة :**

توجد مؤشرات عديدة يمكن على أساسها معرفة ما إذا كان ثمة تحول للقوة يحدث لمصلحة دولة ما على حساب دولة أخرى ،غالبًا ما تكون هي المهيمنة على النظام القائم ،ويمكن تقسيمها إلى :

- ❖ مؤشرات تقليدية : هي تلك المؤشرات التي يمكن قياسها بشكل كمي ،وتتم المقارنة بين الدول على أساسها ،مثل عدد السكان الكلي ،والقوة السياسية النسبية ،الناتج القومي الإجمالي[2].
- ❖ مؤشرات غير تقليدية : يشير هذا المفهوم إلى القوة الناعمة ،والتي تعني قدرة الدولة على تحقيق أهدافها دون ممارسة العنف أو الإكراه[3].

- **ديناميكات القوة وفقًا لنظرية تحول القوة :**

إن الديناميكيات التي وضعتها العلاقات بين القوى العظمى لا تحدد الشروط الأساسية للاستقرار والسلام فحسب ،وإنما تحدد كذلك عناصر التغير والصراع ،وتفترض نظرية تحول القوة أن قوة الدولة تعد دالة في حجم السكان والانتاجية والقوة السياسية النسبية ،وتقاس القوة بتلك العناصر الثلاث الرئيسية ،ولكل منها أثر نوعي مختلف على محور الزمن ،فحجم السكان (والذي يعد عنصر لا غنى عنه للوصول إلى حالة القوى العظمى ومن خلاله تلجأ الدولة إلى تعبئته من خلال التنمية الاقتصادية) ،ويعد عاملًا ثابتًا نسبيًا إذ يصعب تغييره في الأجل القصير ،أما النمو الاقتصادي (ويقاس الدخل القومي بنصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالي GDP) فيتغير على نحو أكثر سرعة ،لذلك يؤثر في

---

[1]– محمد عباس ناجي ،"داخل الدائرة : "تحول القوة" كمدخل لفهم المنافسات الإقليمية والدولية" ،مجلة السياسة الدولية ،العدد 791 ،يوليو 4102.

[2]- Ronald L. Tammen, Jacek Kugler, Douglas Lemke,op cit ,P:4.

[3]– علاء عبد الحفيظ محمد ،" تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في إطار نظرية تحول القوة" ،المجلة العربية للعلوم السياسية ،الجمعية العربية للعلوم السياسية ،لبنان ،خريف 2015 ،العدد 47 ،ص:12.

قوة الدولة في الأجل المتوسط ،وأخيرًا فإن القوة السياسية (ويقصد بها قدرة الحكومة على الحصول على أقصى ما يمكن من السكان مثل قدرتها على استخراج بطاقات سكانها ،وقدرتها على تعبئة مواردها البشرية المحتملة وتحويل ذلك إلى قوة قومية فعلية) ،وهي سريعة التبدل تؤثر على قوة الدولة في الأجل القصير ،ويعد مقياس القوة طبقًا لنظرية تحول القوة هو مقياس ديناميكي ومعيارًا دقيقًا لنتائج الصراعات التي تشنها الدول المتنافسة على بعضها البعض ،وهذا المقياس يمكنه التنبؤ الدقيق بنتائج الصراعات بين القوى المتقدمة والقوى الأقل تقدمًا[1].

أولًا : مراحل تطور العلاقات بين روسيا وإيران :

مثل انهيار الاتحاد السوفياتي نقطة تحول في العلاقات الدولية ،وكان لذلك دور محوري في تغيير مسار العلاقات[2] ،وقادت نهاية الحرب الباردة إلى صياغة جديدة للسياسة الخارجية الروسية بدت فيها أقرب إلى الاهتمام بالقضايا الإقليمية والمحيط الجغرافي المباشر منها إلى طموحات الدولة العظمى[3] ،وكانت إيران من أبرز المستفيدين من هذا التحول الاستراتيجي ،من ناحية تقوية حضورها في آسيا الوسطى والقوقاز وبحر قزوين ،وإبعاد روسيا "العدو التقليدي" عن الحدود الإيرانية واستبدالها بجمهوريات صغيرة تفوقها في القوة.

وبمجيء الرئيس بوريس يلتسين ،كأول رئيس لروسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ،كانت العلاقات بين البلدين تتجه نحو الفتور ،فيلتسين كان أكثر ميلًا للتقارب مع الغرب[4] ،وبالرغم من ذلك لعبت التطورات الداخلية للبلدين في تسعينيات القرن الماضي دورًا في تحسين العلاقات في بعض الأحيان بين كلًا من طهران وموسكو ،فمن جهة تجاوزت إيران مرحلتي استقرار ثورتها والحرب العراقية الإيرانية ،ودخلت حقبة إعادة الإعمار ،ما دفع الرئيس الأسبق هاشمي رفسنجاني والذي انتهج سياسة خارجية أكثر براجماتية ،كما تبنت روسيا ما بعد الاتحاد السوفيتي سياسة أكثر انفتاحًا انطلاقًا من أزمتها

---

[1]– رونالد تامن ،دوجلاس ليمك ،أ. أورجانسكي وآخرون ،مرجع سابق ،ص:ص:37: 44.

[2]– ابراهيم أنوشه ،"النظام الدولي الجديد والسياسة الخارجية الإيرانية"،مجلة مختارات إيرانية ،العدد 49 ،أغسطس 2004،ص62.

[3]– د. دلال محمود ،"أثر التدخل الروسي في الشرق الأوسط على هيكل النظام الدولي "2011 – 2016"" ،المركز الديمقراطي العربي ،25 يوليو 2016.

https://democraticac.de/?p=34573

[4]- Nikolay Kozhanov, "Understanding the Revitalization of Russian-Iranian Relations", Carnegie Moscow Center ,May 2015,p:3.

الاقتصادية[1] ،وفي عام 1995 ،وقعت طهران مع موسكو عقداً بقيمة 800 مليون دولار لبناء مفاعل بوشهر النووي لتوليد الطاقة الكهربائية بعد انسحاب ألمانيا من إكماله وكانت الموافقة الروسية لأغراض اقتصادية ولم تلق هذه الخطوة أي اعتراض من قبل واشنطن أو الغرب بوجه عام[2].

وقد أخذت العلاقات في التحسن بعد وصول فلاديمير بوتين إلى السلطة في روسيا ،وحاول المسئولين في البلدين فتح صفحة جديدة من العلاقات ،ففي مارس من العام 2000 زار الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي موسكو ،واعتبر الرئيس الروسي بوتين أن التعاون بين روسيا وإيران أصبح عاملاً مهماً لتوطيد دعائم الأمن والاستقرار في المنطقة[3] ،وقد أعلن بوتين رفضه لاتفاق غور تشيرنوميردين في أكتوبر 2000 ،وأعقب ذلك الإعلان عن مبيعات أسلحة روسية جديدة إلى طهران بالإضافة إلى التزام روسي جديد باستكمال مفاعل بوشهر[4] ،قام وزير الدفاع الروسي إيغور سيرغييف بزيارة رسمية إلى طهران ،وقد اعتبر ذلك تأكيداً لإعلان موسكو انسحابها من الاتفاق الذي وقع في عهد الرئيس الروسي بوريس يلتسين بين نائب الرئيس الأمريكي آل غور ورئيس الحكومة الروسية فيكتور تشيرنوميردين في عام 1995 ،حول حظر التعاون العسكري والتقني مع إيران[5].

بيد أن التحول الحاسم في العلاقات الروسية – الإيرانية كان في بداية الولاية الثانية للرئيس بوتين عام 2005 ،حيث اتخذت السياسة الروسية الخارجية نحو الشرق الأوسط معالم استقلالية واضحة ،بدأت روسيا بتعزيز مكانتها في آسيا الوسطى وبالعودة إلى الشرق الأوسط ،وإقامة علاقات استراتيجية إيران هو ما أثار حفيظة الولايات المتحدة[6] ،في الوقت نفسه ،اعتبرت إيران وروسيا العمليات العسكرية الأميركية وما تلاها من وجود عسكري في أفغانستان عام 2001 ،والعراق عام 2003 وبعض القواعد

---

[1]- Mark N. Katz,” Russia and Iran”, Middle East Policy Council, Volume XIX , Number 3,Dec 12,2018.
https://www.mepc.org/russia-and-iran

[2]- Simon Henderson, Stefanie Peterson,” Going Critical: Iran's Bushehr Nuclear Reactor Starts Up”, The Washington Institute for Near East Policy, August 18, 2010.
https://www.washingtoninstitute.org/policy

[3] – د. سليم كاطع علي ،"العلاقات الروسية –الإيرانية : الواقع والمستقبل"، مرجع سابق ،ص:106.

[4]- Mark N. Katz,” Russia and Iran ”,op cit.

[5]- Nikolay Kozhanov,”Understanding the Revitalization of Russian-Iranian Relations”, op cit, p:5.

[6]– محد مجدان ،"سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر" ،المجلة العربية للعلوم السياسية ،العدد 47 ،صيف 2015 ،ص:52.

العسكرية في منطقة آسيا الوسطى تهديدًا خطيرًا لمصالحها ،وتشاركت الدولتان المواقف والمخاوف من تقدم حلف الناتو نحو الشرق في القوقاز وآسيا الوسطى ومنطقة بحر قزوين.

ثانيًا : مؤشرات تحول القوة الإيرانية الروسية :

- متغيرات القوة الإيرانية والروسية في إطار المنظور الجيوستراتيجي :

يمثل المتغير الجغرافي أحد المحددات المهمة للمجال الحيوي للدولة ،تحتل إيران المركز 17 من حيث المساحة على مستوى العالم بمساحة تقدر بـ 1.684 مليون كيلومتر مربع ،وتمثل من خلال موقعها حلقة وصل بين قارتي آسيا وأوروبا ،حيث تقع في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا ،شمال شرقي الجزيرة العربية[1] ،وتعد جزءًا أساسيًا من أربعة أقاليم جيوسياسة هي ،إقليم الهلال الخصيب ،إقليم القوقاز ،إقليم آسيا الوسطى وإقليم الجنوب شبه الجزيرة العربية[2] ،يبلغ عدد سكان إيران 80.6 مليون نسمة ،أما عن المكون الديموغرافي الإيراني فتتكون إيران من فسيفساء عرقية ودينية طالما شكلت مصدر قلق للأنظمة والحكومات الإيرانية المتعاقبة ،ويتوزع الشعب الإيراني بين عدة جماعات وأقليات عرقية ودينية ومذهبية ،ووفقًا للتقارير الإيرانية الداخلية فإن 51% من الشعب الإيراني من الفرس ،و24% من الأذريين ،والجيلكي والمازندراني 8% ،والكرد 7% ،والعرب 3%،واللور 2% ،والبلوش 2% ،والتركمان 2% ،وأعراق أخرى 1%[3].

أما روسيا فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي فقدت "وريثته" روسيا جزءًا غير قليل من قوتها ومكانتها الدولية ،واجهت تحديات في جهودها لإقامة أساسيات جديدة في النظام السياسي والاقتصادي[4] ،تقع روسيا في الجزء الشمالي من أوراسيا ،أي بين قارتي آسيا وأوروبا ،وتعد روسيا الاتحادية أكبر دولة في العالم من حيث المساحة ؛حيث تبلغ مساحتها 17,098,242 كم^2 ،ويبلغ عدد سكان روسيا 142.470.272 نسمة طبقًا لتعداد (يوليو 2014) ،وتشير نسبة النمو بالسالب بنسبة 0.03% ،ويشكل التوزيع العرقي : 77.7% روس ،3.7% تتار، 1.4% أوكرانيون ،إضافة إلى قوميات

---

(1)– محمد عتريس ،"معجم بلدان العالم" ،الدار الثقافية للنشر ،القاهرة ،2001 ،ص:167.

(2)– مسفر بن صالح الغامدي ،"النفوذ الإيراني في حوض البحر الأحمر أهداف ومعوقات البقاء في إقليم حيوي" ،مجلة الدراسات الإيرانية ،المجلد الثالث ،العدد الخامس ،ديسمبر 2017 ،ص:127.

(3) -library of Congress- Federal Research Division Country Profile :Iran" ,May 2006,p,p: 5,6 .

(4)– "العاصمة الروسية.. من سانت بطرسبرغ إلى موسكو" ،صحيفة الحياة اللندنية ،12 مارس 2014.

أخرى[1] ،تقترب روسيا من الدخول في أزمة ديموغرافية حقيقية وذلك مع انخفاض عدد سكانها في 2018 للمرة الاولى خلال عشر سنوات[2] ،وقد تؤدي الخسائر الديموغرافية المحتملة إلى عواقب سلبية على مستقبل الدولة الروسية[3].

- القوة الاقتصادية لكل من إيران وروسيا :

تحتل إيران المرتبة 28 من بين أكبر الاقتصادات في العالم ،لكنها تحتل المرتبة 71 من حيث نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي ،وتأتي في المرتبة الثانية على مستوى العالم من حيث احتياطيات الغاز الطبيعي والمرتبة الرابعة من حيث احتياطيات النفط الخام المؤكدة ،ويعتمد النشاط الاقتصادي إلى حد كبير على العائدات النفطية لذا يتسم الاقتصاد الايراني بعدم الاستقرار ،ويلعب القطاع الهيدروكربوني وقطاعا الزراعة والخدمات دورًا بارزًا في الاقتصاد الإيراني[4] ،وعلى الرغم من ذلك يعاني الاقتصاد الإيراني من العقوبات المفروضة من قِبل الولايات المتحدة ،وقد نجحت إيران إلى حد ما في تجاوز بعض الأزمات الاقتصادية الناتجة عن هذه العقوبات على مدار 40 عامًا.

هذا في حين تحتل روسيا المرتبة الـ12 في العالم من ناحية الناتج المحلي الإجمالي ،وتمتلك روسيا أكبر احتياطي غاز في العالم ،وهي أكبر مصدر له ،وتحتل المركز السادس في احتياطي ذهب في العالم ،وهي أكبر منتج للألماس في العالم تشارك بنسبة 25% من إجمالي الإنتاج العالمي ،كما تساهم صناعة الأسلحة بنسبة 20% من إجمالي الوظائف الصناعة ،يشكل النفط الخام والمنتجات البترولية والغاز الطبيعي حوالي 58% من إجمالي الصادرات ،ويمثل الحديد والصلب 4% والصادرات الروسية إلى الخارج ،والمعادن الثمينة تمثل حوالي 2.5% ،وتمثل المبيعات إلى أوروبا أكثر من 60% من إجمالي الصادرات بينما تمتلك آسيا حصة تصدير تبلغ حوالي 30% ،في حين تمثل الصادرات

---

(1)- "Russia", Center Intelligence Agen, Sep 19 ,2019.
https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/rs.html

(2)- "Russia's Population Declines in 2018 for First Time in a Decade", The Moscow Times, Dec. 21, 2018.
https://www.themoscowtimes.com

(3)- Joss Meakins, "Why Russia is far less threatening than it seems", The Washington Post, March 8, 2017.
https://www.washingtonpost.com/news/

(4)– "إيران نظرة عامة" ،موقع البنك الدولي ،11 أكتوبر 2018.
https://www.albankaldawli.org/ar/country/iran/overview

الروسية إلى الولايات المتحدة وأفريقيا وأمريكا اللاتينية مجتمعة أقل من 5% من اجمالي الصادرات[1] ،وصناعيًا تقوم روسيا بإنتاج الآلات الثقيلة والمعدات الكهربائية ،ومن أهم منتجات الصناعة الكيماوية الألياف الكيماوية والأسمدة المعدنية ومنتجات البتروكيماويات[2] ،وبالرغم من ذلك يواصل الاقتصادي الروسي هو الآخر معاناته بسبب تمديد العقوبات ،هذا بجانب استنزاف المزيد من الاقتصاد الروسي بسبب التعزيزات العسكرية الروسية المتزايدة في عدة مناطق كأوكرانيا وسوريا[3].

- منظور روسيا وإيران للبيئتين الإقليمية والدولية :

تسعى روسيا في ظل حكم الرئيس بوتين إلى النهوض مرة أخرى كقوة منافسة في النظام الدولي وذلك عبر تأكيد حضورها في الأقاليم العالمية ،في حين تسعى إيران إلى إثبات أنها قوة إقليمية لها مصالحها ،وقد حرصت الدولتان على إقامة علاقة بينهما بما يخدم تلك التطلعات[4] ،فالعقوبات الأمريكية والأوروبية على روسيا بعد ضم جزيرة القرم وتدخلها في أوكرانيا وسوريا[5] والعقوبات الغربية على إيران على خلفية برنامجها النووي ومشروعها السياسي كانت عامل تقريب بينهما[6].

تنظر روسيا إلى إيران باعتبارها دولة ذات موقع استراتيجي لا يمكن تجاهل نفوذه أو تأثيره ،سواء بالنسبة لها أو بالنسبة إلى مصالحها في منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط ،لاسيما وأن روسيا في مواجهة تهديدين استراتيجيين الأول هو محاولات محاصرتها من جانب الولايات المتحدة ،عبر تمدد حلف الناتو بغرض احتواء روسيا وتطويقها ،والسيطرة على القوة والتوسع الإيراني[7] ،والثاني هو تهديد التنظيمات الإسلامية المتشددة التي باتت تنتشر في معظم دول وسط آسيا ،وتتفق إيران مع روسيا

---

(1)- "Russia Economic Outlook ",Focus Economies, October 1, 2019.
https://www.focus-economics.com/countries/russia

(2)– يحيى مفرح الزهراني ،"هل ستقود روسيا العالم كقوة اقتصادية؟" ،موقع صحيفة الاقتصادية ،13 مارس 2017.
http://www.aleqt.com/2017/03/13/article_1150641.html

(3)- Joss Meakins, op cit.

(4)- Robin Wright, "Russia and Iran Deepen Ties to Challenge Trump and the United States", The New Yorker, March 2, 2018.
https://www.newyorker.com/news/news-desk/russia-and-iran-deepen-ties-to-challenge-trump-and-the-united-states

(5)- Anna Borshchevskaya, Op. cit.

(6)– محمد رضا فرقاني ،"التطلعات الروسية لدعم العلاقات الاستراتيجية مع إيران" ،مجلة مختارات إيرانية ،العدد 172 ،فبراير 2015 ،ص:61.

(7)- Lara Seligman," Pentagon Wary of Russia-Iran Cooperation", Foreign Policy, May 31, 2019,
https://foreignpolicy.com/2019/05/31/trump-putin-syria-tehran-pentagon-wary-of-russia-iran-cooperation/

وتشاركها مخاوفها في ذلك ،حيث أن الخلاف العقائدي والمذهبي مع بعض التيارات الإسلامية المتطرفة (السنية) وعلى رأسها تنظيم الدولة الإسلامية(داعش) يضعها ومصالحها ضمن مخاطر هذا التنظيم ،وهي أيضاً في مواجهة الهيمنة الأمريكية بالحصار والعقوبات إلى حد التهديد بضربة عسكرية ومحاولات تغيير النظام في إيران[1] ،وتدرك واشنطن مدى خطورة التعاون الإيراني الروسي في هذه المناطق الاستراتيجية لذا تصعد إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الضغط على روسيا وإيران ،وقد حذرت وزارة الدفاع الأمريكية موسكو وطهران من التعاون في الشرق الأوسط ،واعتبرت أن "طموحاتهما" من شأنها التأثير سلبًا على شركائها في المنطقة[2].

وقد حاول البلدان مجابهة هذه التهديدات ،بالاتفاق على إدارة بعض القضايا بما لا يضر أي منهما بمصالح الأخر ،وكانت إيران من أوائل الدول التي أعلنت دعمها لموسكو في حرب الشيشان واعتبرت أن الشيشان جزءًا لا يتجزأ من أراضي الدولة الروسية وليس أكثر من مشكلة داخلية ،وهو ما أُعتبر "براجماتية" من قبل دولة تتبنى شعارات نصرة القضايا الإسلامية سواء في بعدها الرمزي أو السياسي[3] ،كما تعد التحركات الروسية الإيرانية في أفغانستان تحولًا جوهريًا في سياسة الدولتين تجاه الأوضاع السياسية والأمنية ،بعد تطوير علاقاتهما مع حركة طالبان وتكثيف المواجهة مع تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) في أفغانستان والعمل على تهميش النخب الموالية للغرب والولايات المتحدة ،بما يكشف امتداد التحالف الروسي الإيراني لمواجهة التحديات التي تستهدف عمقهما الاستراتيجي[4].

- التعاون الاقتصادي بين إيران وروسيا :

ترتبط روسيا وإيران بعلاقات اقتصادية تطورت منذ سقوط الاتحاد السوفيتي ،وازدهرت في السنوات الأخيرة بسبب التقارب السياسي بين موسكو وطهران ،وزادت معادلات التبادل التجاري بين البلدين ،وقد

---

[1]– د. محمد السعيد إدريس ،"تحالف الضرورة بين إيران وروسيا جدل التفاعل بين الفرص والتحديات" ،مرجع سابق ،ص:41.

[2]- Lara Seligman," Pentagon Wary of Russia-Iran Cooperation", Foreign Policy, MAY 31, 2019. https://foreignpolicy.com/2019/05/31/trump-putin-syria-tehran-pentagon-wary-of-russia-iran-cooperation/

[3]– د. أحمد ثابت ،"الموقف الإيراني من الأزمة الشيشانية" ،مجلة مختارات إيرانية ،العدد 14 ،سبتمبر 2001.

[4]– محمد عبدالله يونس ،"دوافع وتداعيات التدخلات الروسية – الإيرانية في أفغانستان" ،مجلة الدراسات الإيرانية ،الصادرة عن مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية ،العدد الثالث ،يونيو 2017 ،ص:142.

ظهرت مؤشراته في وجود عدد كبير من الشركات والمؤسسات التجارية والاقتصادية الروسية العاملة في إيران[1] ،ومن أهم مجالات التعاون الاقتصادي بين إيران وروسيا في :

- المجال النووي : بدأ التعاون النووي بين طهران وموسكو لبناء مفاعل بوشهر في أغسطس 1992 ،وقد شكل استكمال بناء مفاعل بوشهر دفعة قوية للتعاون النووي بين البلدين ،وضمن هذا الإطار وقعت روسيا وإيران في نوفمبر 2014 اتفاقًا ينص على بناء موسكو محطتين جديدتين للطاقة النووية في إيران، مما يرفع عدد المفاعلات النووية الروسية في إيران إلى ست مفاعلات[2] ،وقد استغرق مفاعل بوشهر النووي ما يقرب من أربعة عقود لاستكماله وبتكلفة بلغت حوالي 11 مليار دولار ،مما يجعله واحدًا من أغلى المفاعلات في العالم[3].
- مجال الطاقة : تدرك روسيا أن تعزيز نطاق التعاون الاقتصادي ،والمتمثل بالصفقات التجارية في مجال الطاقة يعد أحد أهم الأدوات التي تخدم موسكو في بسط نفوذها السياسي في المحيطين الإقليمي والدولي ،وقد وقعت روسيا عبر شركة "روسنفت" ،وهي إحدى كبرى شركات النفط المملوكة للحكومة الروسية ،العديد من الصفقات مع إيران ،من بينها اتفاقية بلغت قيمتها بقيمة 30 مليار دولار ،وشملت هذه الاتفاقيات مشاريع تطويرية في مجال الغاز والنفط ،ومن المتوقع أن تعزز هذه الاتفاقيات مكانة روسيا التنافسية العالمية ،ويجعلها تستأثر بالسوق الإيرانية دون منافسيها الغربيين لا سيما في ظل العقوبات على طهران[4].

- التعاون العسكري بين إيران وروسيا :

تعد إيران رابع أكبر مستورد للمعدات العسكرية الروسية ،بعد الصين والهند والإمارات العربية المتحدة ،بما نسبته 6.1 % من إجمالي صادرات روسيا من الأسلحة ،وقد كشف مركز تحليل تجارة الأسلحة العالمية في موسكو أن صناعة الدفاع الروسية خسرت حوالي 13 مليار دولار من مبيعات

---

[1]– أسماء حسن الخولي ،"المصالح الاقتصادية الروسية في إيران بين الشراكة والعقوبات" ،مجلة الدراسات الإيرانية ،الصادرة عن مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية ،العدد الثالث ،يونيو 2017 ،ص:165.

[2]- Vladimir A. Orlov and Alexander Vinnikov," The Great Guessing Game: Russia and the Iranian Nuclear Issue, "The Center for Strategic and International Studies and the Massachusetts Institute of Technology", Spring 2005,p:50.

[3]- Ali Vaez , Karim Sadjadpour,"Iran's Nuclear Odyssey Costs and Risks ", Carnegie Endowment for International Peace", Washington, DC 2003, p vii.

[4]– أحمد مصبح ،"الدب الروسي يتمدد ويفرض نفسه على طاقة الشرق الأوسط" ،موقع الخليج أونلاين ،6 نوفمبر 2017. https://alkhaleejonline.net/

الأسلحة إثر عقوبات الأمم المتحدة المفروضة على إيران[1]. وقد وصل حجم المشتريات الإيرانية من السلاح الروسي في الفترة ما بين 1991 إلى 2015 ،إلى أكثر من 304 مليارات دولار ،وفي سبتمبر من العام 2015 ،أعلنت إيران أنها وقعت عقوداً بقيمة 21 مليار دولار لشراء معدات أقمار صناعية وطائرات من روسيا ،منها طائرات(سوخوي سوبرجت 100)[2] ،بالإضافة إلى توقيع مذكرة تفاهم تنص على توسيع التعاون العسكري بين البلدين والتعاون في مجال التدريب العسكري وتنظيم مناورات مشتركة ودعم الأمن الإقليمي والدولي ومكافحة الإرهاب والتطرف والحركات الانفصالية.

ولم يقف التعاون العسكري عند هذا الحد بل أيضًا هناك تعاون عسكري إيراني روسي على الأراضي السورية وخارجها أيضًا ،حيث كشفت روسيا في أغسطس 2016 أن قواتها المسلحة استخدمت قاعدة (نوي) الجوية في إيران[3] ،في سابقة حيث يحظر دستور البلاد إنشاء قواعد عسكرية على الأراضي الإيرانية من قبل قوى الأجنبية[4] ،إلا أن موافقة السلطات الإيرانية الممثلة بأعضاء مجلس الأمن القومي مروراً برئيس الجمهورية وصولاً إلى المرشد الأعلى ،على السماح لقوة أجنبية بالتواجد على أراضيها ،وباستخدام الأراضي الإيرانية منطلقًا لهجمات عسكرية على دولة ثالثة – لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية – يشير إلى مدى التعاون طهران وموسكو[5].

ثالثًا : التحليل الإمبريقي للعلاقات الإيرانية الروسية :

قياس وتحليل نمط العلاقة بين روسيا وإيران خلال الفترة من العام 1991 وحتى العام 2013 ،وفقًا لنظرية تحول القوة والتي تقوم على فرضية أساسية وهي أن التقارب في القوة الشاملة بين إيران وروسيا

---

[1]– مصطفى رستم ،"روسيا وإيران خفايا الخلاف والاتفاق في سوريا" ،موقع الاندبندنت العربية ،12 فبراير 2019.
https://www.independentarabia.com/node/7506/

[2]– د. أيمن عمر ،"تكتل اقتصادي روسي – إيراني في مواجهة العقوبات الأميركية" ،صحيفة النهار اللبنانية ،5 ديسمبر 2017.

[3]- Bozorgmehr Sharafedin,"Russia says future use of Iran air base depends on Syria circumstances", Reuters, August 22, 2016.
https://www.reuters.com

[4]- Clément Therme, "Russia and Iran's growing cooperation hints at a new Middle East", The Conversation, March 27, 2017.
http://theconversation.com/russia-and-irans-growing-cooperation-hints-at-a-new-middle-east-75181

[5]-"Russia uses Iranian airbase for first time in Syria campaign", The Guardian, Aug16, 2016.
https://www.theguardian.com/world/2016/aug/16/russia-uses-iranian-airbase-for-first-time-in-syria-campaign

سيؤدي إلى التنافس من ثم الصراع ،وذلك عبر قياس القوة الشاملة لكل من روسيا وإيران خلال سنوات الدراسة عبر استخدام المعادلات التالية[1].

$$power\ gap\ (PG) = ABS\ |GDP_A \times RPC_A - GDP_B \times RPC_B|$$

القوة الشاملة للدولة = اجمالي الناتج القومي (GDP) × معيار كفاءة الدولة (التعبئة السياسية للدولة) (RPC)

فجوة القوة يمكن قياسها $ABS = (PG)$ $\left|\frac{\text{القوة الشاملة للدولة أ} - \text{القوة الشاملة للدولة ب}}{\text{القوة الشاملة للدولة أ} + \text{القوة الشاملة للدولة ب}}\right|$

وطبقًا لهذه المعادلة (فجوة القوة) فإنه كما زاد الرقم واقترب المؤشر من 1 (الواحد صحيح) في فجوة القوة فهذا يعطي معنى واضحاً أن فجوة القوة بين البلدين أ ، ب كبيرة ،وطبقًا لفرضية نظرية تحول القوة فإن احتمال وقوع الحرب يكون أمرًا مستبعدًا نظرًا للفارق القوة بين البلدين ،والعكس صحيح بمعنى أنه كلما اقترب مؤشر فجوة القوة من الصفر فهذا يحمل تفسيرًا واضحًا بأن فجوة القوة صغيرة ،وبالتالي طبقًا للنظرية أيضًا فإن احتمال وقوع الحرب يكون وشيكًا بشكل كبير[2].

---

[1]- Ashraf M. Singer, "The Two-Gap Theory Of War :Application of Power Parity and Military Buildup in middle East", A Dissertation submitted to the Faculty of the Claremont Graduate University in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor Philosophy in the Graduate Faculty of political Sciences, Claremont, California, 2008, p31.

[2]- Ashraf M. Singe ,op cit.

الجدول (1) : يوضح فجوة القوة الشاملة بين إيران وروسيا[1] وحجم التبادل التجاري بينهما[2]

*الأرقام الواردة في الواردات بين البلدين مقدرة بالميلون دولار

1	Year	RPC (IRAN)	GDP (IRAN)	Power (Iran)	RPC (RUS)	GDP (RUS)	Power (RUS)	Power gap	importer Iran	importer Russia	Total value
2	1991	0.493	172.47	85.030	0.8528	2683.74	2288.703	0.928358	395	333.73999	728.74
3	1992	0.521	201.70	104.985	1.29497	2851.08	3692.065	0.944702	258.29999	48.099998	306.4
4	1993	0.272	220.50	59.972	1.25084	2346.37	2934.922	0.95995	186.5	86.699997	273.2
5	1994	0.307	269.89	82.739	1.0653	1955.33	2083.01	0.923593	267.89999	41.5	309.4
6	1995	0.447	291.48	130.195	1.30994	1826.95	2393.195	0.896809	372	27	399
7	1996	0.602	302.75	182.204	1.44264	1391.43	2007.334	0.833569	644.20001	39.503502	683.7035
8	1997	0.807	360.54	290.910	1.53622	1331.4	2045.326	0.750959	704	71.875	775.875
9	1998	0.679	377.87	256.718	1.48399	1255.45	1863.072	0.757789	549	27.906	576.906
10	1999	0.617	385.00	237.496	1.33672	1330.51	1778.522	0.764391	532	69.586311	601.5863
11	2000	0.436	435.91	189.968	1.398	1539.54	2152.279	0.83779	919.94409	53.630474	973.5746
12	2001	0.425	491.87	208.900	1.49158	1477.61	2203.964	0.826845	938.80768	34.256981	973.0647
13	2002	0.365	552.29	201.572	1.39723	1505.34	2103.293	0.82509	885.63617	49.794289	935.4305
14	2003	0.381	653.88	248.884	1.30673	1614	2109.066	0.788898	1130	61.095615	1191.096
15	2004	0.374	733.41	274.227	1.32335	1801.29	2383.727	0.793655	805	111.21956	916.2196
16	2005	0.443	821.57	363.900	1.48829	2011.9	2994.289	0.783276	1077.0179	140.65656	1217.674
17	2006	0.411	993.78	408.914	1.48412	2286.56	3393.527	0.78492	732.13824	237.78085	969.9191
18	2007	0.425	1068.65	454.669	1.53663	2585.31	3972.665	0.794608	818.80328	349.14948	1167.953
19	2008	0.460	1193.90	549.691	1.43166	2855.58	4088.206	0.762957	1337.3979	400.54941	1737.947
20	2009	0.567	1183.63	670.859	1.26078	2565.5	3234.535	0.656445	924.37689	211.79303	1136.17
21	2010	0.428	1183.30	506.343	1.26486	2892.63	3658.762	0.756864	1150.1	271.63712	1421.737
22	2011	0.381	1283.59	488.771	1.31444	3272	4300.864	0.795905	3598.9851	342.02231	3941.007
23	2012	0.381	1373.15	523.260	1.33	3384.33	4501.156	0.791713	2090.4253	428.41385	2518.839
24	2013	0.331	1172.72	387.716	1.269645	3399.175	4315.747	0.912465	1285.4777	432.92096	1718.399
25	2014								1459.6265	352.29184	1811.918

[1]- Feenstra, Robert C., Robert Inklaar and Marcel P. Timmer (2015), "The Next Generation of the Penn World Table" American Economic Review, 105(10), 3150-3182, available for download at www.ggdc.net/pwt https://dataverse.harvard.edu/dataset.xhtml?persistentId=doi:10.7910/DVN/NRR7MB
Jacek Kugler and Ronald Tammen (eds.) (2012) Performance of Nations. Lanham, MD: Rowman & Littlefield RPC

[2]- The Correlates of War Project, 30 Jun 2019.
http://www.correlatesofwar.org/news/bilateral-trade-v4-0-now-available?fbclid=IwAR3pHgHcrdsKwxNyK32kuvAgxKbLfscdR6ZtiE89Ro2YhQLsn6VOLtAr4TQ

الشكل رقم (2) : يوضح التفاوت في القوة الشاملة بين إيران وروسيا

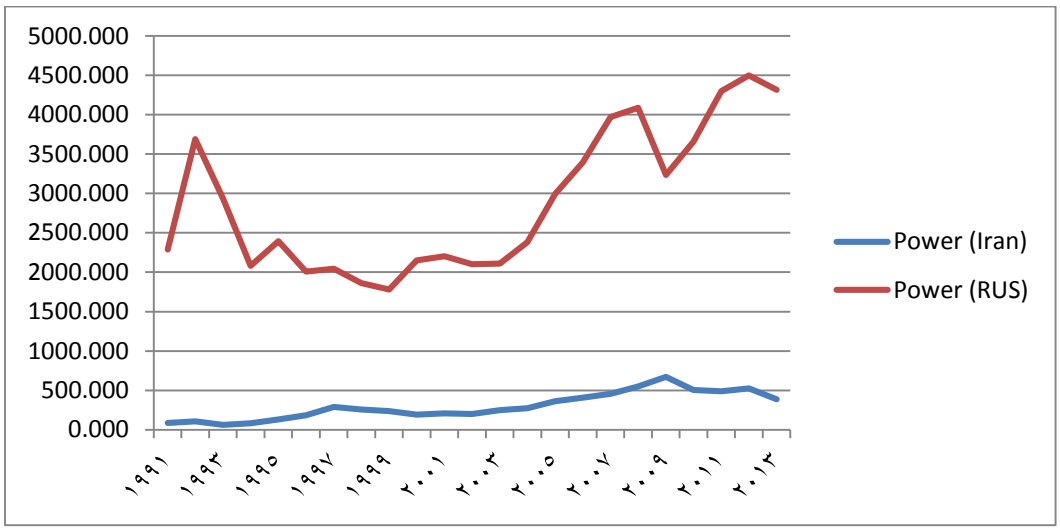

الشكل رقم (3) يوضح فجوة القوة بين روسيا وإيران وطبقًا لمعادلة(فجوة القوة) فإن مؤشر فجوة القوة يقترب من 1 (الواحد صحيح) ،وهذا يعطي معنى واضحًا أن فجوة القوة بين روسيا وإيران كبيرة.

الشكل رقم (3) : يوضح فجوة القوة بين روسيا وإيران

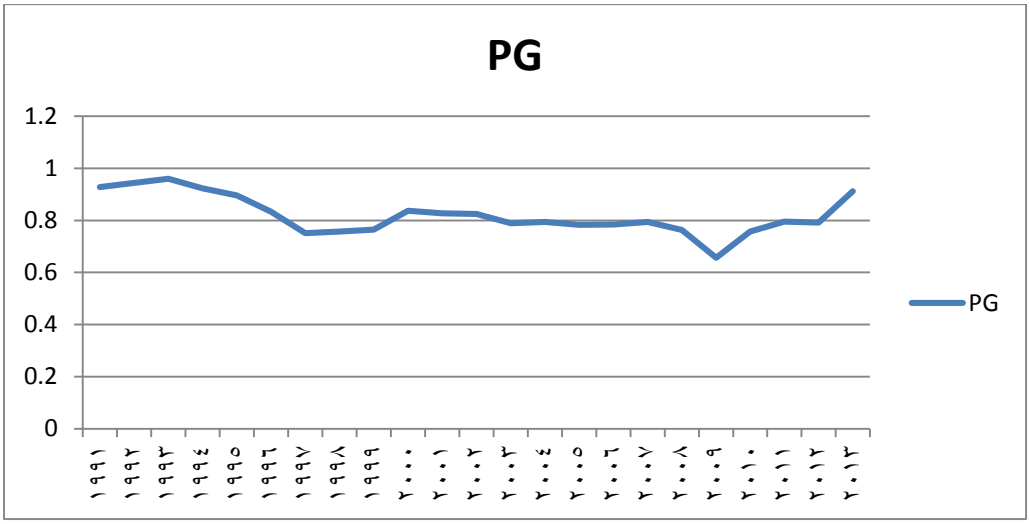

الشكل رقم (4) : يوضح التباين في التبادل التجاري بين إيران وروسيا

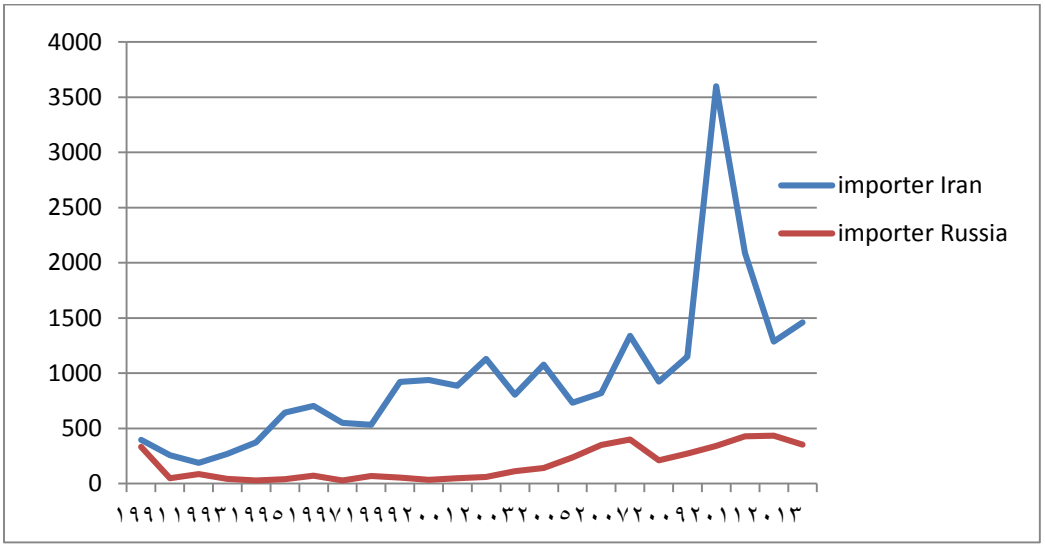

الشكل رقم (5) يوضح إجمالي قيمة التبادل التجاري بين إيران وروسيا ،ويتضح من خلاله أن معدل التبادل التجاري بين البلدين في تزايد مستمر ،ويعد هذا النمو في التبادل مؤشرًا على أن التعاون هو السمة الغالبة على العلاقات الإيرانية الروسية.

الشكل رقم (5) : يوضح القيمة الإجمالية للتبادل التجاري بين إيران وروسيا

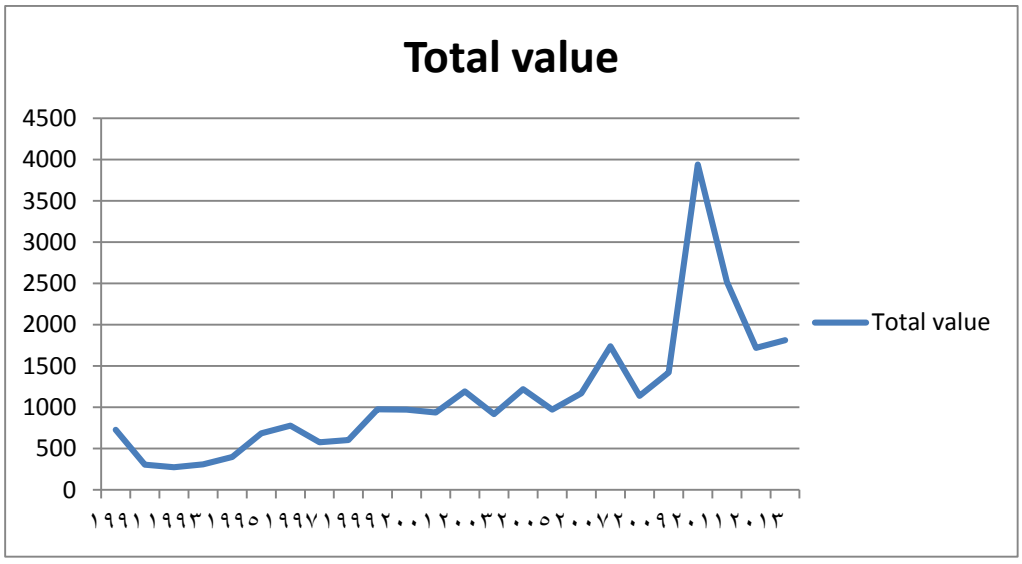

تشير البيانات التي بالجدول رقم (1) أن كلا الدولتين تسعيان إلى زيادة قوتهما الشاملة ،على الرغم من تفوق روسيا على حساب إيران والتي تسعي هي الأخرى لزيادة قوتها لكن ليست بنفس معدل الزيادة في القوة الروسية وهو ما يتضح من خلال الشكل رقم (2) حيث يبين مدى التفاوت في القوة الشاملة بين إيران وروسيا ،وهو ما يعني أن روسيا دولة راضية في علاقاتها بإيران ،إذ لا تري في إيران دولة تهدد مصالحها القومية ،وكذلك هي إيران راضية إلى حد ما رغم التفاوت ،أما الشكل رقم (3) فيوضح أن فجوة القوة بين روسيا وإيران طوال فترات الدراسة من العام 1991 إلى العام 2013 لم تقترب من الصفر ،بل أنها كانت أقرب إلى الواحد صحيح ،هذا يعني طبقاً لفرضية نظرية تحول القوة فإن احتمالات وقوع حرب بين روسيا وإيران هو أمر مستبعد ،لذا يلاحظ أنه بالرغم من التباين في وجهات النظر بين طهران وموسكو في عدة قضايا إلا أن التعاون كان هو السمة الأساسية للعلاقات ،وستبقى العلاقات على هذا النحو طالما كانت إيران ليست في مجال يسمح لها بالتكافؤ في القوة على الأقل في المدى المنظور.

أما فيما يتعلق بحجم التبادل التجاري بين كلًا من روسيا وإيران فيلاحظ أن هناك نمو متزايد في التعاون التجاري ،وبقياس متوسط التبادل التجاري بين روسيا وإيران خلال الفترة من العام 1991 إلى العام 2000 (5628.385352 /10) = 562.8385352، ومن العام 2001 إلى 2009 (10/10245.47384)= 1024.547384 ،ومن العام 2010 إلى العام 2014 (11411.90068 /5) = 2282.380136 ،ويمكن ملاحظة أن هناك تزايد في نمو التبادل التجاري بين البلدين ،كما أنه خلال الخمس سنوات من العام 2010 إلى العام 2014 قد تضاعف حجم التبادل التجاري بأكثر من الضعف عن الفترة من العام 2001 إلى العام 2009 ،فإيران بجانب أنها دولة صغيرة بالمقارنة بروسيا في القوة الشاملة وتستفيد روسيا أكثر من إيران فيما يتعلق بالتعاون الاقتصادي ،لكن هذا النمو يعطي مؤشرًا على رضى البلدين عن العلاقات بينهما.

رابعًا : تحليل نمط العلاقات بين إيران وروسيا :

على الرغم من أن التعاون بين إيران وروسيا يتجاوز التقارب في ملفات وقضايا متعددة ،لكن خلف هذا التحالف تظهر بعض الخلافات أو اختلافات في وجهات النظر نتيجة لتعارض المصالح والرؤى

بين البلدين[1] ،ما يدفع المتابعين للتساؤل حول طبيعة العلاقة بين موسكو وطهران حليفان قويان بالفعل ،أم مجرد شريكين مؤقتين تجمعهما وتفرقهما المصالح، لاسيما وأن روسيا هي الدولة المهيمنة منذ فترة طويلة حتى بعدما فقدت جزء من مكانتها وخاصة على المستوى الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ،تواجه قوى اقليمية صاعدة منافسة كإيران في محاولتها لاستعادة مكانتها كقوة دولية ،وفيما يلى أبرز القضايا التي يمكن من خلالها يمكن تحليل نمط وطبيعة العلاقات بين طهران وموسكو :

➢ التنافس الروسي الإيراني في آسيا الوسطى :

مثل استقلال آسيا الوسطى فرصة سواء على الصعيد الجيوسياسي أو الاقتصادي للقوى الكبرى التي حاولت الاستفادة من هذه المنطقة ،فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي لم تعد روسيا هي القوى المنفردة بالمنطقة وسارعت عدة قوى خارجية لملء الفراغ وإعادة تشكيل التوازنات العالمية والاقليمية في قلب آسيا ،ومنها واشنطن وبكين وأنقرة وطهران وغيرها في إطار ما يعرف بالمباراة الكبرى الجديدة ،وشكل ذلك فرصًا لدول آسيا الوسطى الفرصة لتحصيل مكاسب أمنية واقتصادية ،ولكن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر شكل التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة تهديداً لروسيا وإيران[2].

سعت روسيا الوريث الوحيد للتركة السوفيتية إعادة أمجادها السابقة في ضوء ما لديها من مفردات القوة تؤهلها للمنافسة ،أو على الأقل إعاقة استراتيجيات القوى الأخرى في المناطق الحيوية من العالم والتي تعد من المنظور الروسي ضمن مناطق النفوذ الروسية[3] ،في حين لم تدخر طهران جهدًا في محاولة فرض نفسها على المشهد الإقليمي ؛وانطلقت من تصور استراتيجي أنها القوة المرشحة للعب دور قيادي في منطقة آسيا الوسطى ،فهي تجاور تركمانستان وأذربيجان جغرافياً ،كما تعد طهران المنفذ البري الطبيعي لدول المنطقة إلى الخليج العربي ،ولها صلات ثقافية وحضارية مع طاجكستان[4] ،وقد

---

[1]– نورهان الشيخ ،"التعاون الاستراتيجي الروسي الإيراني الأبعاد والتداعيات" ،مجلة السياسة الدولية ،العدد 180 ،ابريل 2010 ،ص:41.

[2]– أسماء أحمد شوكت على عبد البديع، "القيادة السياسية والتغير في السياسة الخارجية الروسية تجاه دول آسيا الوسطى "2015-2000"" ،موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية الاقتصادية والسياسية ،26 يوليو 2016.
https://democraticac.de/?p=34651

[3]– د. هاني إلياس خضر ،د. سلمان علي حسين محمد ،"التنافس الدولي في منطقة آسيا الوسطى(دراسة في المقاصد والنتائج)" ،مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ،جامعة الكوفة ،العراق ،العدد 18 ،2016 ،ص:26.

[4]– هبة محسن أبو الوفا ،"إيران في آسيا الوسطى.. نموذج للقوة المرنة" ،موقع اسلام أونلاين ،9 ديسمبر 2008.
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite

أعادت إيران قراءة المشهد الجديد من منطلق هوية تلك المنطقة الثقافية والإسلامية ،وإلى حد ما على هويتها اللغوية وعلاقتها التاريخية بإيران ،وفي البداية نجحت طهران في مد أواصر التعاون هذه الدول. ولكن سرعان ما خفت هذا التعاون بسبب مخاوف بعض بلدان آسيا الوسطى من نقل تجربة الاسلام السياسي الإيراني إليها[1] ،فضلًا عن أن التنافس التركي– الايراني في آسيا الوسطى قد شكل تهديدًا للمصالح الروسية هناك وأسفر عن تهجير عدد كبير من الروس آسيا الوسطى ،إذ وصل من كازخستان وحدها في العام 1993 نحو 200 ألف روسي هو ما شكل عبئًا اقتصاديًا حيث لم تكن روسيا قادرة على استيعاب تلك الاعداد آنذاك ،بالإضافة إلى تصاعد التيارات الأصولية وانتهاجها العنف مما قد يهدد الأمن القومي الروسي ووحدة الأراضي الروسية ،ما اضطر دول آسيا الوسطى لدعوة روسيا للعب دور الضامن للأمن نظرًا لضعف امكانيات تلك الدول في ذلك الوقت[2].

لدى روسيا وإيران مصالح متباينة ومصالح مشتركة أيضًا في آسيا الوسطى ،لكن يظل لطهران مصالحها المستقلة وعلى رأسها منع روسيا من الاحتفاظ بدور المسيطر في المنطقة عبر الحصول على تدفق أكبر للطاقة من آسيا الوسطى عبر أراضيها ،وبالرغم هذه التناقضات تعاونت موسكو مع طهران بشكل دوري في المشاريع الاقتصادية والسياسية والأمنية في منطقة آسيا الوسطى ،سواء على المستوى الثنائي أو في الإطار المنظمات الإقليمية مثل منظمة شنغهاي ومنظمة بحر قزوين[3].

➢ البرنامج النووي الإيراني :

تتعاون روسيا مع إيران في بناء محطة بوشهر النووية لتوليد الطاقة الكهربائية ،وتدافع عن حق إيران في امتلاك التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية ،لكنها تقبل بفرض عقوبات عليها لردعها عن المضي قدمًا في تطوير قدراتها في مجال تخصيب اليورانيوم ،ويحكم الموقف الروسي في الحالتين

---

[1]- Elmira Nogoybayeva, Sanat Kushkumbaev, et al. "Central Asia: A Space for "Silk Democracy": Islam and State", edit, E. Nogoybayeva. Almaty , Friedrich Ebert Foundation, Germany, 2017, p:41.

[2]– د. محمد السيد سليم ،"التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية" ،مجلة السياسة الدولية ،العدد 170 ،أكتوبر 2007 ،ص:43.

[3]- Nikolay Kozhanov, "Russia's Relations with Iran Dialogue without Commitments", The Washington Institute for Near East Policy, June 2012, p:11.

مصالحها ،والأمن القومي الروسي[1] ،حيث تعارض روسيا حصول إيران على أسلحة نووية ،معتبرة أن تطورًا كهذا من شأنه أن يحدث تغيير جذري في ميزان القوى في المنطقة[2].

ولم تخف السلطات الروسية وجهة نظرها بأن إيران المسلحة نوويًا على الجانب الجنوبي لروسيا قد تشكل تهديدًا في آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين و يقوض نفوذ موسكو في مناطق الاتحاد السوفيتي السابقة ،وتهديدًا لاستقرار منطقة الشرق الأوسط ،وتوضح تلك المخاوف السبب في أنه بعد الكشف عن البرنامج الإيراني السري في العام 2002 راجعت موسكو مبادئ محددة تشكل الأساس لتعاونها مع طهران ،وبحلول عام 2005 ،كانت قد وقعت عددًا من الاتفاقيات مع طهران تضمن عودة الوقود النووي المستخدم من محطة الطاقة في بوشهر إلى روسيا ،مع الحد بشكل عام من التعاون مع إيران في هذا الشأن[3] ،وقد التزمت موسكو بالتصويت الايجابي لمصلحة جميع قرارات مجلس الأمن التي فرضت عقوبات على إيران وهي ست قرارات بين العامين 2006:2010 ،والقرارات هي 1696 (2006)، 1737 (2006)، 1747 (2007) ، 1803 (2008)، 1835 (2008)، 1929 (2010)[4]، لعدم تجاوبها مع متطلبات الوكالة الدولية للطاقة الذرية ،فضلًا عن ذلك اقترحت روسيا أن تكون وسيطًا لتخصيب اليورانيوم الإيراني على أراضيها وهو ما رفضته طهران بشدة[5].

ويمكن محاولة فهم الموقف الروسي تجاه الملف النووي الإيراني من جانب آخر ،وهو أن روسيا لا ترغب في معاداة الغرب والولايات المتحدة ،حيث تدرك أن التعاون مع إيران سيكلفها المزيد من النفقات المالية والأعباء السياسية ،وفي بعض الأحيان تستخدم موسكو الملف النووي الإيراني كورقة مساومة في علاقاتها بالولايات المتحدة ،حيث لعبت السلطات الروسية بهذه الورقة أثناء فترات التقارب والتوتر مع الولايات المتحدة إما بتجميد التعاون مع إيران تارة أو بتعزيزه تارة أخرى ،ففي العام 1995،وفي

---

[1]– د. نورهان الشيخ ،"تحالف محسوب : محددات التوافق بين إيران وروسيا" ،مجلة السياسة الدولية ،العدد 196 ،أبريل2014 ،ص:94.

[2]- Nikolay Kozhanov," Understanding the Revitalization of Russian-Iranian Relations", op cit ,p:15.

[3]- Nikolay Kozhanov, "Russia's Position on Iran's Nuclear Program", The Washington Institute, April 19, 2012.

[4]- Iran Nuclear Issue, United Nations Security Council, on20 may 2019. https://www.un.org/securitycouncil

[5]– د. محمد السعيد إدريس ،"تحالف الضرورة بين إيران وروسيا جدل التفاعل بين الفرص والتحديات" ،مرجع سابق ،ص:ص:48:49.

أعقاب المصالحة مع واشنطن ،وقعت موسكو على اتفاقية (غور– تشيرنوميردين) ،وفي المقابل توتر العلاقات الأمريكية الروسية حدث تقارب روسي إيراني ،فخلال الفترة من 2006 إلى 2008 ،لم يشمل التعاون المجال العسكري فحسب لكنها حاولت أيضًا تعويض الخسائر السابقة التي فرضتها اتفاقية (غور – تشيرنوميردين)[1].

➢ قضية تقسيم بحر قزوين :

يعد الاختلاف على تقسيم بحر قزوين ،بين الدول المطلة عليه ،وهي روسيا ،وكازاخستان ،وأذربيجان ،وتركمانستان ،وإيران أحد أهم المؤثرات والمحددات في العلاقات الإيرانية–الروسية[2] ،حيث تسعى روسيا لاستعادة نفوذها في منطقة ذات أهمية استراتيجية واقتصادية ،كانت إلى وقت قريب جزءًا من حدودها الطبيعية ،في حين تعتبر منطقة بحر قزوين منطقة استراتيجية أيضًا بالنسبة لإيران لما تحتويه من ثروات طبيعية على رأسها النفط والغاز ،فالخلاف بين الدول المتشاطئة حول ما إذا كان قزوين بحر أم بحيرة وطريقة تقسيمه فيما بينها وفق ماهية وضعه القانوني[3] ،وهذا أمر من شأنه أن يحدد طابع تقسيم سطح البحر وثرواته الباطنية ،وكذلك الحق في بناء خطوط أنابيب لنقل الغاز والنفط عبر قاعه[4] ،ففي حين تدعو إيران لتقسيم بحر قزوين بالتساوي بين الدول الخمس المطلة عليه مع تطبيق ما يُعرف في القانون الدولي بمبدأ "السيادة المشتركة"[5] ،تنادي روسيا إلى التفرقة بين القاع وسطح البحر ،وذلك عبر تقسيم قاع البحر إلى قطاعات وطنية تقابل تقريبًا مقدار الخط الساحلي الذي تسيطر عليه كل دولة ،أما فيما يتعلق بالمياه السطحية فكل ما هو خارج النطاق الإقليمي يتم مشاركته ،واقترحت أيضًا حل النزاعات حول حقول النفط المتداخلة بالمشاركة على أساس ثنائي[6].

---

[1]- Nikolay Kozhanov, ”Russia's Position on Iran's Nuclear Program”, Op. cit.
https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/russias-position-on-irans-nuclear-program

[2]– هاشم كاظم صبيخي ،"التنافس الدولي والاقليمي على ثروات بحر قزوين" ،مجلة أبحاث ميسان ،المجلد الثاني ،العدد الثالث ،2006 ،ص:199.

[3]- M.L.,” Is the Caspian a sea or a lake? ”, The Economist, Aug 16th 2018.
https://www.economist.com/the-economist-explains/2018/08/16/is-the-caspian-a-sea-or-a-lake

[4]– سامر إلياس ،"دول بحر قزوين تبرم اليوم «اتفاقًا تاريخيًا» لتقاسمه" ،صحيفة الحياة اللندنية ،12 أغسطس 2018.

[5]- محمود سعد دياب ،مرجع سابق.

[6]- Ben N. Dunlap, ”Divide and Conquer? The Russian Plan for Ownership of the Caspian Sea”, Boston College International and Comparative Law Review, Volume 27 ,2004 , p:125.

➢ القضية السورية :

أدارت روسيا الملف السوري منذ سبتمبر 2015 بالتنسيق مع إيران ،فقد دعمت الدولتان حليفهما النظام السوري كمصلحة مشتركة لكن بدوافع متباينة ،فقد أرادت إيران الحفاظ على مشروعها السياسي واستخدام سوريا كجسر للوصول إلى البحر المتوسط[1] ،فيما اتخذت روسيا قرارها بالانخراط في الأزمة السورية وفق قاعدة اغتنام الفرص ودرء المخاطر ،حيث اعتبرتها موسكو فرصة لإعادة تموضعها في الساحة الدولية ،فضلًا عن تحقيق مكاسب اقتصادية رغم تكلفة التدخل التي قدرت عام 2015 بـ 2.4 مليون دولار إلى 4 ملايين دولار في اليوم[2] ،ومكاسب جيوسياسية عبر صولها إلى المياه الدافئة انطلاقاً من الجغرافيا السورية[3] ،في حين تمثلت المخاطر بضرورة إجهاض دعوات التغيير عن طريق الثورات التي تخشى موسكو أن تدركها بشكل مباشر أو مناطق نفوذها ،كذلك هي محاولة استباقية ضد الحركات الجهادية للحيلولة دون وصولها إلى الجمهوريات الروسية والسوفيتية السابقة ،فضلًا عن احتواء محاولات استهداف روسيا اقتصاديًّا في سوق الطاقة ،كما تخشى موسكو توسع نفوذ إيران في مناطق استراتيجية بما قد يهدد مصالحها[4].

وعلى الرغم من التفاهم الروسي الإيراني في سوريا لكن هذا لا يعني عدم وجود خلافات بين الطرفين[5] ،فإيران لا تخفي قلقها من التفاهم الروسي مع تركيا واسرائيل في سوريا التي باتت ساحة لأطراف عديدة ،وبالإضافة إلى وجود خلافات أيضا حول مستقبل سوريا[6] ،فبينما تحبذ موسكو حل الأزمة عن طريق سياسي يضمن أن تبقى سوريا موحدة ودولة ذات سيادة ،لدى طهران أولويات أخرى على رأسها تعزيز النفوذ العلوي في سوريا بصرف النظر عن تداعيات ذلك على مستقبل الدول

---

[1]– ربا عبادة راشد مسودة ،"السياسة الخارجية الروسية تجاه ايران 2000–2017" ،مجلة مدارات إيرانية الصادرة عن المركز الديموقراطي العربي ،ألمانيا ،العدد الثالث ،مارس 2019 ،ص:157.

[2] - Sinan Hatahet," Russia and Iran: Economic Influence in Syria ", Middle East and North Africa Programme | March 2019,p:3.

[3]– هبة محمد ،"صراع مصالح روسي – إيراني في سوريا... تباين لا يرقى إلى حد الخلاف ولا يحجب المصالح المشتركة" ،صحيفة القدس العربي ،22 ابريل 2019.

[4]– أيمن الدسوقي ،"الدور الروسي في سوريا: الواقع والمآلات" ،مجلة رؤية تركية ،السنة السابعة ،العدد الثاني ،ربيع 2018 ،ص:64.

[5]– هدى الحسيني ،"الوجود الإيراني في سوريا بات يهدد مصالح روسيا" ،صحيفة الشرق الأوسط ،18 ابريل 2018.

[6]- Robert Malley," The Unwanted Wars Why the Middle East Is More Combustible Than Ever", Oct 2,2019.
https://www.foreignaffairs.com/articles/middle-east/2019-10-02/unwanted-wars

السورية[1] ،وقد حرصت موسكو على اتباع سياسة التوازن وذلك من خلال إدارة تحالفاتها بدقة مع الأطراف الإقليمية في سوريا ،أقامت علاقات متوازنة مع إسرائيل ونظام الرئيس بشار الأسد وأيضًا مع تركيا والولايات المتحدة[2] ،لذا تخشى طهران من احتمال حصول مقايضات أميركية – روسية لإيجاد تسوية في سوريا ،تكون على حساب نفوذها في سوريا والمنطقة ،وينطبق هذا على علاقة روسيا مع إسرائيل والتي باتت طرفًا أساسيًا في الساحة السورية ولها مصالح تتعارض مع المصالح الإيرانية[3] ،لهذا تتعامل إيران مع روسيا بصفتها حليفًا لا يمكن الوثوق به على المدى البعيد للاعتبار التاريخي الذي يظل ثابتاً في الوعي الإيراني[4].

خامسًا : نتائج الدراسة ومستقبل العلاقات :

لعبت أولويات السياسة الداخلية والاستراتيجيات الخارجية لدى كل من إيران وروسيا خلال المرحلة الراهنة دورًا كبير في إيجاد مساحة من التفاهم والتقارب بين الجانبين انعكست في شكل تعاون في عدد من المجالات المختلفة السياسية العسكرية والاقتصادية والأمنية ،على حساب القضايا الخلافية التي تحاول كلا الدولتين حلها بالدبلوماسية أو غض الطرف عنها وذلك بما تمليه مصلحتهما.

وفيما يتعلق بالفرضية التي قامت عليها الدراسة بأن العلاقات الروسية الإيرانية تزداد توترًا مع اقتراب أو تساوي القوة الشاملة بين البلدين يتضح من التحليل الاحصائي أن كلًا من روسيا وإيران يسعيان لزيادة مقدراتهما الشاملة لكن هناك تفوق لصالح روسيا ،ومن خلال تتبع مؤشرات القوة الشاملة بين البلدين يلاحظ أن العلاقة بين روسيا وإيران ظلت تتأرجح بين الصعود والهبوط بفعل محددات وعوامل حالت دون تحويل التقارب إلى تحالف أو إلى شراكة استراتيجية ،وحالت كذلك دون تأزم العلاقات أو الوصول إلى الصراع ،فالعلاقات بينهما هي علاقات استراتيجية للبلدين على حدً سواء ،وما يجمع الطرفين من مصالح ثنائية أو مصالح متبادلة في مناطق عدة سواء في منطقة الشرق الأوسط أو آسيا الوسطى والقوقاز أكثر مما يفرقهما.

---

[1]- Sirwan Kajjo,"Tensions Grow Between Russia, Iran in Syria", Voice of America, May 27, 2019. https://www.voanews.com/extremism-watch/tensions-grow-between-russia-iran-syria

[2]– رائد جبر ،"العلاقة الروسية – الإيرانية «شر لا بد منه»" ،صحيفة الحياة اللندنية ،5 فبراير 2017.

[3]- Larry Hanauer," Israel's Interests and Options in Syria ", Rand Corporation ,2016,p:5.

[4]– محمد محسن أبو النور ،"تقاطعات المصالح الروسية – الإيرانية بسوريا بعد الاتفاق النووي وانتخابات فبراير" ،مجلة رؤية تركية ،السنة الخامسة ،العدد الثاني ،صيف 2016 ،ص:218.

ووفقًا لنظرية تحول القوة فإنه عندما يتساوى أو يتقارب الدول في القوة الشاملة مع وجود حالة من عدم الرضا ،من المرجح أن تزداد احتمالية الصراع ،وبالنسبة للعلاقات إيران وروسيا حاليًا لا يوجد تكافؤ أو تساو في القوة ،وتشير نتائج الأرقام التي تم استخدمها في التحليل الاحصائي أن روسيا دولة راضية في علاقتها مع إيران ،وذلك وفقًا للفارق الكبير في القوة بينهما ،كما أن إيران دولة راضية إلى حد ما ،فطبقًا لمعدلات التبادل التجاري بين البلدين ،يلاحظ أنه خلال الخمس سنوات من العام 2010 إلى العام 2014 قد تضاعف حجم التبادل التجاري بأكثر من الضعف عن الفترة من العام 2001 إلى العام 2009 ،وهذا النمو يعطي مؤشرًا على رضى البلدين عن العلاقات بينهما ففي العلاقات الصراعية لا يكون التبادل التجاري بكميات كبيرة أو يكون على نحو مطرد كما هو الحال بالنسبة للعلاقات الإيرانية الروسية.

أما فيما يتعلق بمستقبل العلاقة بين إيران ورسيا فإنه مرهون بتحولات البيئة الداخلية والخارجية ،ومن خلال متابعة العلاقات بين البلدين على مدار العقدين الماضيين يلاحظ أن موسكو تتعامل مع إيران وفقًا لسياسة فصل القضايا ،أي كل قضية على حدا ،يتوقع أن تشهد هذه العلاقات خلال السنوات القليلة القادمة مزيدًا من التعاون ،بما يسمح للسياسة الروسية أن تتجاوز حدودها بدور استراتيجي يقترب من المنطقة العربية ومياه الخليج الدافئة عبر إيران ،وبما يضع روسيا إلى جانب الصين وإيران في موقع استراتيجي مهم في منطقة وسط آسيا وأطرافها ،ومحاصرة طالبان في أفغانستان بالتنسيق مع إيران ،ومحاولة الوصول إلى حل لقضية تقاسم المصالح في منطقة بحر قزوين ،وهو ما ظهرت بوادره في قمة أكتاو الكازاخية في أغسطس 2018 ،مع الابقاء على السيطرة الدولية على البرنامج النووي الإيراني بما لا يهدد المصالح الروسية ،وهو ما تدركه طهران جيدًا وتعلم أنها لا يمكن أن تحقق أهدافها بالاعتماد على الرهان الروسي فحسب ،أما عن التحالف الروسي الإيراني في سوريا سيبقى رهين التطورات ،ورغم تباين مصالح الطرفين تحافظ موسكو على حليفها الإيراني ،لان التخلي عن إيران في سوريا يعد مكسبًا للولايات المتحدة ،لذا فإن مرحلة الصدام بين طهران موسكو في سوريا مؤجلة لوقت غير معلوم ،وإن ظهرت بوادرها مع الدعوة التي أطلقها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مؤخراً بضرورة خروج القوات الأجنبية من سوريا بما فيها القوات الإيرانية.